اخبار

سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت

الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١–١٦٨٤

كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ،
مرافق المسافر وترجمانه
نشرها الخوري اسحق ارملة السرياني

٢

ثم تقدمت وبستُ يده وقلت له بحياة راسك أعطنا الدستور حتى نروح لان التجار يستنون خارجاً . وناسنا في الكروان يبقون في همنا . فسامر احد خدّامه ليعطيني ثلاثة اعنام . وطلبت منه اناساً حتى يفوّتونا السور (الحدود) ويعبرونا في ارض العجم . لانه من هناك يفوت الكروان منا ويروح الى تبريز ونحن نروح الى ايروان . فاعطاني اثنين . ثم توادعنا منه واستكثرنا خيره . ولما طلعنا من عنده كانت الساعة الثالثة من الليل [٥٠] فنظرنا التجار واقفين ينتظرونا فركبنا خيلنا ورحنا الى الكروان . اما الاعنام فجابوها الينا . ولما نظرها المونسنيور قال ما هذا ؟ قلت الامير اعطاني اياها . قال انا لا اريدها أعطيها لرئيس الكروان . فضحته واعطيته اياه . اما الرجلان اللذان بعثهما الامير معي فباتا عندنا .

٨ وصول المونسنيور پيكيت بلاد العجم وزيارته دير اجميازين ووصوله الى ارضاده

وثاني يوم قمنا من بكرة حملنا واخذنا درب ايروان . والكروان اخذ درب تبريز فرحنا . وثاني يوم دخلنا في ارض العجم . اما الرجلان فطلبا

الدستور حتى يرجعا . فامرني المونسنيور ان اعطيهما قرشين [٦٠] فاعطيتهما وثالث يوم وصلنا الى دير يسمى دير اجيازين وهو كرسي بطرك الارمن . فنزلنا هناك . وطلع مطارين الارمن واستقبلوا المونسنيور وانزلوه في احسن حجرة وقالوا له : كنا سمعنا عن مجيئك فارسلنا الصيادين من بكرة الى النهر ليصطادوا سمكاً على مجتك . وبينما هم يتكلمون اذا بالصيادين قد اقبلوا حاملين السمك فرحين مسرورين . فالقوا السمك وتباركوا من المونسنيور . فبهت الحاضرون وتعجبوا من كثرة السمك [٦١] فقالوا لنا انا نصطاد طول عمرنا وما وجدنا صيداً كثيراً مثل اليوم . ثم ان المطارين عرضوا السمك على المونسنيور ليأخذ منها ما يريد لانها كانت من اجناس كثيرة . فاخذنا ما اعجب المونسنيور وأعطيناها الى طباخنا وبتنا تلك الليلة .

وثاني يوم بعثني المونسنيور الى ايروان حتى افتش عن بيت ننزل فيه وافتش ايضاً عن صاحبه الخواجا عازريا القاتوليقي . فركبت ورحت . وبعد ثلاث ساعات دخلتُ ايروان ونزلتُ في الكروان سراي . ثم فتشت عن عازريا فوجدته . ونمت تلك الليلة في الخان . وثاني يوم رجعتُ ومعي عازريا فوصلنا الى الدير [٦٢] وتلاقى عازريا مع المونسنيور . وبعد ما بقي المونسنيور في الدير ثلاثة ايام . وعمل له مطارين الارمن عزاً وورقاً زائداً حملنا ورحلنا الى ايروان ونزلنا الاحمال في كروان سراي . فالمونسنيور ومسيو كازمو والحكيم وانا والطباخ نزلنا في بيت عازريا ثم جاء المكارية حتى يأخذوا دراهم فمنعتهم وقلت لهم بدي ادعي معكم . لاننا لما كنا في بلاد الترك اخذتم مني ثلاثين قرشاً زائداً عن حقكم . فاما تعطوني اياها واما اشتكي عليكم للشرع واخبركم . فخافوا . فلما سمع المونسنيور صاحبي [٦٣] وقال لي . لماذا لم تترك المكارية يمضون ؟ فقلت له يا سيدي أما تعلم ما عملوا معنا لما كنا في بلاد الترك ؟ واخذوا منا دراهم زائدة ؟ قال نعم انا اعلم كل هذا ولكن اقول لك الاحسن ان تعفو عنهم وتغفر لهم . ثم امرني ان اصيحهم . فجاؤا خائفين ووقفوا امامه ذليلين . فاعطى لكل واحد منهم قرشاً بخشيشاً . ثم باسوا يده وأمرهم بالمضي فمضوا مستحين معتذرين مما فعلوا . وبقيت انا متحيراً في هذا القلب .

١٠١ حاكم البلد الذي يسمّى الخان فكان خارجاً [٦٤] عن ايران مسافة يومين . فلما سمع عن المونسنيور ارسل يدعوه . فقام المونسنيور واخذني واخذ الحكيم وعازريا والخادم ورحنا الى الاوردو[1] . فلما سمع كهية[2] الخان ارسل ناسه وانزلونا في بيت رجل ارمني . وثاني يوم رحنا اليه وزرناه . فرحب بالمونسنيور واكرمه واجلسه على كرسي وجاب لنا قهوة . وثالث يوم رحنا عند الخان ولما نظر الى المونسنيور اجلسه واحضر له قهوة واكرمه وحكاه قدر ساعة . ثم اخذنا دستوراً ورجعنا . وبقينا في الاوردو خمسة ايام [٦٥] . وكان كل يوم يبعث لنا الخان من اطعمته صفرتين[3] الواحدة وقت الغدا والاخرى وقت العشا .

٩ وصول المونسنيور يكبت الى نخجوانه وزيارته الرعوية للقرى

وفي اليوم السادس رجعنا الى ايران واستكرينا دواب . وفي اول آب بالحساب الشرقي خرجنا طالبين نقشوان . اما البادرية الكبوجيون فانفرقوا منا وراحوا الى تبريز . ونحن بعد خمسة ايام وصلنا الى نقشوان ونزلنا هناك . فبعث الخان استدعى المونسنيور . فرحنا اليه وتكلّم معه مدّة طويلة . ثم حملنا ورحلنا الى ضيعة ارمن قاتوليقيين تسمى ايرانير[4] . ووصلنا ثالث ساعة من الليل .

[٦٦] اما اهل الضيعة فكانوا طلعوا بالزياح للقاء المونسنيور . ولما رأوا انه تعوّق رجعوا الى بيوتهم . ولما وصلنا نزلنا في الدير . وفي يوم جاء ناس الضيعة تباركوا منه . ثم اعطوا كل واحد منا حجرة فنزلنا واستراحنا من التعب . وفي نصف آب كان عيد سريم العذراء . فخذوه الى ضيعة قريبة تسمى كرنا فيها كنيسة على اسم العذراء . وحضر اليها اناس من جميع القرى . ولما قربنا من الضيعة خرج الرهبان والقسوس بالزياح وادخلوا المونسنيور الى الكنيسة وقدّس قداساً [٦٧] كبيراً . وفي هذه الكنيسة قبر مار برتلماوس الذي كرز[5] على الارمن وجعلهم قاتوليقيين . وبعدما كمّل القداس تبارك منه الجميع كبارًا

١) مركز الجيش . ٢) رئيس . ٣) مائدتين .
٤) وتدعى ايضاً بينار . ٥) نشر .

وصغاراً . واخذونا الى بيت واسع واحضروا الغداء . فقام المونسنيور عاجلاً الى قلاية ليصلي . وبعد الصلاة رجعنا الى الضيعة .

وبعد شهرين[1] اخذونا الى بقية ضياع الارمن القاتوليقيين . ولما كنا نقرب من الضيعة كانوا يخرجون بالرياح حاملين صلبان الصليب ولابسين طقوسهم . وكانوا اذا قربوا منا ينزل المونسنيور عن فرسه وننزل كلنا وكان يبرك على الارض امام الصليب ونجثو نحن ايضاً [٦٨] معه . ثم يقوم ويلبس بدلة ويبدأ يمشي وهو مكشوف الراس الى حين نصل الى الضيعة . ثم يدخل الى الكنيسة فيدقون النواقيس ويجثو المونسنيور امام القربان ويبقى مقدار نصف ساعة . وبعد ذلك يجيء الناس ويتباركون منه . وكانوا ينزلونه في احسن الاماكن ويبدأون يفتقدونه بالهدايا من مأكول ومشروب . ولكنه لم يكن يقبل هدية من احد بل كنت انا اعمل المصرف من كيسه . اما الضيعة التي كنا نروح اليها وفيها ارمن فكان قسوسهم واعيانهم ياتون يزورون المونسنيور ويتباركون منه [٦٦] واذا كانوا مسلمين فكانوا ياتون اليه ليزوروه ويهدوا له الهدايا . اما الارمن القاتوليقيون والهراطقة فكانوا يجيبون اليه المرضى ليبارك عليهم .

واول رواحنا كان الى قرية جاجوك[2] وقرية جهري[3] . فخرجوا امامنا بالرياح كالمذكور اعلاه كباراً وصغاراً . وفي هذه الضيعة كنيسة لطيفة جديدة . وفيها نحو مائة وخمسين بيتاً قاتوليقيين . اما الباقي فارمن ومسلمون وبقينا فيها خمسة عشر يوماً او ازيد . ثم اعطى المونسنيور التورشم[4] للاولاد .

ومن هناك رحلنا قاصدين ضيعة شاهبونيس[5] . فخرجوا امامنا بالرياح مثلما ذكرنا . وفيها سبعون بيتاً او ازيد قاتوليقيين والباقي هم مسلمون . فبتنا هناك [٧٠] جمعة واعطى المونسنيور التورشم الاطفال .

---

١) اي في شهر تشرين الاول . ٢) جاهوك .

٣) جغري .

٤) التورشم توسعا لفظ سرياني يُراد به وسم الكاهن للمولود بزيت الميرون المقدس ومنحه سر التثبيت

٥) شهبونيك .

ثم رحلنا الى ضيعة قراقوش[1] وهي صغيرة في الجبل فيها قدر عشرين بيتاً قاثوليقيين وعشرة بيوت رمن . وكنيستهم صغيرة مهدومة . فاعطى المونسنيور التورشم للاطفال . وبعد ثلاثة ايام رجعنا قصدنا ضيعتنا ابرانير ونزلنا كل واحد في حجرته .

وبعد كم يوم رحنا الى ضيعة قريبة من ضيعتنا بعيدة عنها ثلاثة اميال تُسمّى خوش كاشين[2] فعبرنا على ضيعة مسلمين تُسمّى صلطاق[3] ولنا فيها اربعة بيوت قاثوليقيين وكنيسة صغيرة . فقدّس المونسنيور هناك وتغدّينا . ورحنا الى خوش كاشين . فخرجوا امامنا بالزياح المذكور وانزلونا في الدير . [٧١] وفي هذه الضيعة سبعون بيتاً قاثوليقيين والباقي مسلمون . ورشم المونسنيور الاطفال . وبعد خمسة عشر يوماً عدنا الى ابرانير .

وبعد كم يوم اخذونا الى ضيعة تُسمّى ابراكونيس[4] وفيها مقدار خمسين بيتاً قاثوليقيين وعشرين بيتاً من الارمن وعشرين من المسلمين . وفي هذه الضيعة مجلس الملك اعني رئيس تلك الكورة وهو مسلم ولكنه معقول[5] . فاخذنا الى بيته واضاف المونسنيور والبادرية واكرمه بالزيارة . ورشم المونسنيور اطفال تلك الضيعة .

١٠ استطراد في وصف مناقب المونسنيور بيكيت

وكان من عادة المونسنيور انه اذا نزل في حجرة [٧٢] ينزل مسيو كازمو بجانبه وانا في حجرة بجانبه . ثم نقوم من بكرة انا وكازمو وندخل عليه ويكون قد لبس ثيابه . فنأخذه الى الكنيسة ونخدم قداسه . وبعد ذلك يسمع قداساً او قداسين ثم نرجع به الى قلايته فان اراد يفطر بلقمة ويغلق عليه الباب ونتركه وحده في الحجرة يصلي . واذا اراد احد ان يزوره كان يجي . اولاً اليّ وكنت اروح اطلب منه الدستور . فاذا كان فرغ من صلاته كان يقول لي خلّه يجي . والا . فيقول اصبر قليلاً وارجع . فكنت اصبر

١) كراكوش . ٢) خوشاكونيس .
٣) صلطاغ . ٤) ابراكونيس . ٥) اديب .

وارجع بالشخص الزائر . فكان يتبارك منه ويكلّمه ويرجع[٧٣]بحبور الخاطر .

كذا كان يصنع المونسنيور مع الجميع قاتوليقيين كانوا ام هرطوقيين ام مسلمين . فكان يستقبلهم بالمحبة ويكلمهم بالحشمة ويكرز عليهم بكلام مفيد لخلاص نفوسهم . وبعدما دُرْنا ضياع القاتوليقيين رجعنا الى ابرانير مكاننا .

اما قرى الارمن الهراطقة القريبة او البعيدة منا فكانوا عندما يسمعون عن فضائل المونسنيور يقصدونه حتى يتباركوا منه . ولما كان نهار عيد جميع القديسين بعدما قدّس المونسنيور القداس الكبير جاء رئيس ضيعة [٧٤] شاهبونيس ليشتكي عنده قائلًا : انه قد جاء داروغا[1] من طرف حاكم تبريز يريد الخراج . وامسك فحبس اناساً وضربهم وهرب الباقي . فامرني المونسنيور ان اروح اليه واكلّمه . فركبتُ ورحت الى قرية شاهبونيس ودخلت على الداروغا وكلّمته . فارسل عاجلًا وفكّ المحبوسين . وبقيتُ هناك خمسة ايام الى ان جمعت خراجهم بالمعقول وسلّمته الى الداروغا . فتبقّى عليهم اربعون غرشاً . فكفلت انا فيها واعطاها المونسنيور ورجعت الى ابرانير .

ولما كان شهر كانون الثاني جاء آغا من جانب خان تبريز الى بلاد نقشوان . وكان رجل [٧٥] يُسمّى جعفر راح اشتكى الى الخان على نصارى قرى القاتوليقيين شكوى باطلة . فارسل الخان معه هذا الآغا . واول وصوله امسك بعض النصارى وضربهم وحبسهم . فجاؤا اشتكوا الى المونسنيور فصاحني وقال لي : لاجل الله رُحْ الى نقشوان عند الخان وتكلّم مع هذا الاغا من جانبي وفكّ الناس المحبوسين . وكان ذلك اليوم شتاء عظيماً والثلج قد ربط الدروب . فركبتُ نصف النهار ورحتُ الى نقشوان ووصلتُ نصف الليل وانزلني الخان في بيت واحد ارمني . وثاني يوم رحت عند الخان فارسل كاهيته[2] [٧٦] الى القاضي وصاحوا الآغا والمدّعي وعملوا جمعية . فقلتُ له نيابةً عن المونسنيور : ان سيدي الاجي[3] يقول لكم ان تشرعوا بالحق وتنظروا من هو الظالم ومن المظلوم واذا لم تشرعوا بالحق فهو يشتكي للشاه على الظالمين وينتقم منهم ثم اني اول شيء فكيتُ المحبوسين كلّهم . وبعد ما عملوا الديوان[4] فمن

١) منتش ٢) أمينه ٣) السفير ٤) الاجتماع

خوفهم من المونسنيور حكموا بالحق وتبتوا الدعوى على المدعي . فأمسكه الآغا . وبعدما قضيتُ خمسة ايام في نقشوان رجعت ورجعت المحبوسين معي . فلما وصلت عند المونسنيور [٧٧] ابتدأ المحبوسون يدعون له لانهم بواسطته خلصوا . ثم حكيته كلّ ما جرى ففرح بي وباركني .

وفي هذا البلاد يصير برد شديد جداً لا يصير مثله في مكان حتى انه بعض اوقات يجلد كاس الدم[1] . ومع هذا جميعه كان المونسنيور يروح كل يوم يقدّس في هذا البرد الشديد . وكان يتعوّق في القداس مثلما يتعوّق في الصيف . ويتعوّق بعد القداس نصف ساعة اخرى . وانا كنتُ اخدم قدّاسه واجفّ من البرد . لان مسيو كازمو كان يمرض بعض اوقات . وبعد خروجه من الكنيسة كنتُ آخذه الى حجرته واسلّحه الكسوة الاسقفية [٧٨] . واذا اراد كان يفطر بلقمة ثم يبدأ بالصلاة فاغلق الباب وارجع الى حجرتي . وكان اولاد الضيعة يريدون يرتشمون فاوصى المونسنيور البادرية ان يعلّموهم التعليم المسيحي بالتمام . وبعد ان امتحنهم رشمهم مثلما كان يعمل في باقي القرى

وكان كل يوم يلبس الثياب الاسقفية ويجلس على كرسي في مكان واسع ويجمع اليه الاولاد المزمعين ان يرتشموا ويبدأ يسألهم بواسطة ترجمان . فالذين لم يتعلّموا كان يأمرهم ان يتعلّموا تماماً حتى يرشمهم . وهكذا كان يسأل واحداً واحداً مقدار ساعتين .

ولما كان اول احد من الصوم [٧٩] الكبير رسم قسوساً وشمامسة . ومسيو كازمو فاوّل وصولنا الى ضيعة ايرانير ابتدأ يتعلم الارمني . وكان في الصوم كل يوم بعد الغدا يجمع اولاد الضيعة في الكنيسة ويلبس قيصه ويلبس ايضاً المونسنيور طقسه ويجلس في كرسي الاسقفية . فيبدأ مسيو كازمو يكرز عليهم ويُعلّمهم تعليم المسيح مقدار ساعة ونصف . وهكذا كان يعمل طول الصوم الكبير . وفي خميس الفصح عمل المونسنيور المغسول . وغسل ايضاً ارجل ثلاثة عشر واحداً وأحسن اليهم وغدّاهم وخدمهم . وكان قد جاءه مكتوب من ملك [٨٠] فرنسا وجعله اجي .

---

١) وقت القداس

وكان في هذه الضيعة رجلان عاطلان جداً يعملان الضرر لكثير من النصارى . فأمرني المونسنيور ورحت الى ضيعة اخرى وكتبتُ مكتوباً من فمه الى حاكم تبريز حتى يرسل ناساً يمسكون هذين الشقيين ويأخذوهما الى تبريز حتى اذا جاء المونسنيور الى تبريز يدّعي معهما . ثم بعثت المكتوب مع ساعٍ الى حاكم تبريز . وفي تلك السنة عيّدنا قبل الارمن باربع جمع (السابيع) لان الارمن القاتوليقيين عيّدوا على الحساب العتيق .

١٠ سفر المونسنيور بيكيت الى تبريز وفتحه قرى الارمن

ولما كانت الجمعة الثالثة بعد العيد استكرينا دواباً الى تبريز [٨١] فجاء آغا من قبل حاكم تبريز ومعه خمسة انفار يُسمّى مهندار[1] حتى يودّي المونسنيور الى تبريز بالاكرام مثل اللجي . وأمسك ايضاً الاثنين الشقيين وجعلهما في الزنجير حتى ياخذهما معه . وبينما نحن سائرون في السفر جاء قسوس واعيان ضيعة اكوليس الارمن يدعون المونسنيور اليهم ليبارك ضيعتهم . فبعثنا الحكيم والاحمال الى ضيعة جولفة العتيقة وهي بعيدة نحو يوم عن ايرانيز على جانب نهر الاراز . واخذ الاغا المسوكين[2] وراح الى تلك الضيعة ينتظرنا . ونحن اخذنا معنا حملين الواحد حوائج المطبخ [٨٢] والآخر حوائج القداس وقصدنا ضيعة اكوليس وبتنا في كوش كاشين . وهناك اشترينا فرساً مليحاً للمونسنيور وهو اعطاني فرسه . وثاني يوم رحلنا وعند المساء بتنا في دير ارمن فاكرمنا رئيس الدير . وثالث يوم بعثنا الاحمال الى ضيعة اكوليس ونحن رحنا الى ضيعة قريبة من مدينة اردوار تُسمّى كانتزاغ[3] . ولنا فيها بيتان وكنيسة والباقي عم مسلمون . ونزلنا في الدير . وكان صحبتنا البادري عازريا والبادري پاولا وجاء الخواجا عازريا من ايروان الى ايرانيز فجاء معنا . وثاني يوم كان نهار جمعة الالام . فركب عشرون رجلاً وازيد من اكابر اكوليس واخذونا [٨٣] الى ضيعتهم . ولما وكبنا من كانتزاغ امطرت علينا . ولما قربنا من اكوليس انقطع المطر .

١) محافظ ٢) المقبوض عليهما ٣) كانتصاك

ونظرنا اهل الضيعة الكبار والصغار طلعوا لملتقانا والكهنة والشمامة جميعهم لابسين طقوسهم حاملين صناجق الصليب المكرّم والاناجيل في يديهم والنواقيس تدقّ والمباخر تبخّر ويرتلون باطيب الالحان . ولما اقتربوا نزل المونسنيور عن فرسه ونزل بقيّة الركاب . ثم جثا على ركبتيه امام الصليب براس مكشوف وجثا جميعهم ايضاً . ثم صلى وقام فالبسوه بدلة عجيبة جدًّا . وارادوا ان يركب [٨٤] لان الضيعة كانت بعيدة فلم يركب بل كان ماشياً مكشوف الراس امام الصليب المكرّم . وانا وقسيس آخر كنا رافعين بدلته . ولمّا وصلنا الى الضيعة ضربوا النواقيس في كل الكنائس .

ثم اخذونا الى دير مار توما وفيه كنف مار توما الرسول . وهذا الدير هو كرسي اسقفهم . ولكن الاسقف لم يكن هناك . فانزلوا المونسنيور في حجرته وكل واحد منّا في حجرة . ثم جاء اكابر الارمن وتباركوا من المونسنيور كمن بطركهم . ويوم السبت ليلة عيد القيامة عند الارمن قدّس المونسنيور . ووقت المساء قدّس الارمن . وبعد [٨٥] القدّاس اخذونا الى بيت الاكل واجلسوا المونسنيور في كرسي اسقفهم وجلس الباقي كلٌّ واحد حسب درجته . واحضروا مائدة فيها بيض وسمك وجبن ولبن سوى اللحم . لان الارمن تلك الليلة يفطرون بعد حضور القداس . وبعد العشاء انصرفنا كل واحد الى مكانه .

وثاني يوم جاؤا دعوا المونسنيور الى الكنيسة الكبيرة التي بنوها جديداً واخذوه بالزياح المذكور اعلاه . والبسوه بدلة وألزموه ان يركب لاجل الطين فلم يركب بل كان ماشياً معهم ونحن كنا رافعين اذيال بدلته . وكان اكابر الارمن محيطين به من اطرافه [٨٦] حتى لا يزحمه الناس . لان شعب بقية الكنائس اجتمعوا كلهم في هذه الكنيسة . ولما وصلنا لم نقدر نجوز لكثرتهم . وبالجهد عملوا لنا طريقاً وادخلنا المونسنيور . وكانوا قد رتبوا له ترونو[1] مكان اسقفهم فاجلسوه هناك وابتدأ القسوس يتباركون منه . وبعدهم اراد الشعب ان يتبارك فمنعوهم لئلا يصير طولة . فاخذنا نلبّس المونسنيور ثم قدّس وقدّس ايضاً الارمن بعده قداساً كبيراً بالترتيل . وكانوا يعملون جيريونيو[2] للمونسنيور مثل

١) ترونو من اليونانية (trône) اي العرش ٢) حفاوة (cérémonie)

اسقفهم . وبعد انتهاء القداس اجلسوه في الترونو وبدأ يكرز عليهم بالايتالياني.
[٨٧] وكان البادري عازريا يفسّر لهم بالارمني حتى انهم اخذوا يباركون من حلاوة لفظه وكلامه . ثم جاؤا فرداً فرداً يتباركون منه . أولاً الكهنة والشمامسة وبعدهم الرجال والنساء . وكانوا يمشون على ركبهم . ومنهم من كان يبوس يده ومنهم ركبته ومنهم ثيابه ومنهم رجليه . وهكذا كانوا يتباركون منه بايمان زائد كمن المسيح . وكان هو جالساً بثيابه الحبرية والتاج في راسه كمثل ملاك الله . وكنت انا الحقير حاملاً عكازته وواقفاً على جانب الشمال . وكان الكهنة والشمامسة حاملين [٨٨] الشموع ومحتاطين به حتى انتهينا نصف النهار . ثم خلع المونسنيور طقسه[1] واخذونا الى بيت واسع فرشوه بالطنافس واجلسوا المونسنيور على كرسي ووضعوا امامه طاولة . وجلس الباقي على عادة البلاد وجابوا العرق وملبس السكر في اوانٍ فضية . ثم جابوا الغداء وتغدّينا ورجعنا الى مكاننا ورافقنا القسوس والاعيان.

وثاني يوم اخذونا الى كنيسة اخرى تُسمّى كنيسة العذراء . فقدّس المونسنيور هناك واضافونا ورجعنا الى الدير . ثم اخذونا الى دير خارج الضيعة فاكرمنا الرئيس ورجعنا الى مكاننا.

[٨٩] وثالث يوم جاؤا اخذونا الى ضيعة بعيدة عنا اربعة اميال تُسمّى اكوليس الصغيرة ام تشط . اما الدير الذي كنا فيه فأهدوا الى المونسنيور طنفسة عجيبة وقداً[2] أطلس . وهو ايضاً عاوضهم . وجاء معنا بعض اكابرها وودّعونا ولما وصلنا الى نصف الدرب خرجوا امامنا بالطبول والزمور . ولما قربنا الى الضيعة خرج الكهنة والشمامسة وباقي الشعب بالرياح فنزل المونسنيور وجثا امام الصليب . ثم البسوه بدلة جميلة واركبوه ان يركب فلم يُرد بل بقي يمشي . وعند دخولنا الى الضيعة [٩٠] انزلونا في بيت اسقفهم داخل حوش الكنيسة . وثاني يوم قدّس المونسنيور قداساً كبيراً . وبعد القداس اجلسوه على كرسي وجاؤا جميعهم تباركوا منه . ثم اضافونا احسن ضيافة . فتغدينا ثم حملنا قاصدين الرجوع . فجاؤا يتوسلون الى المونسنيور ليبقى عندهم اقلها يكون ثلاثة

١) حلته الكهنوتية ٢) ثوباً

ايام. فقال لهم ما اقدر اتعوّق ازيد لان اليوم ثانية ايام منذ راحت احمالي الى جولقة[1] والمكارية والمهمندار ينتظروني هناك. فركبنا الى جولقة وركب معنا اكابر الارمن من الضيعتين اي اكوليس الكبيرة والصغيرة.

[٩١] ثم عدّينا على ضيعة ونند[2] نصفها مسلمون ونصفها ارمن. وكل منهم يقطن منعزلًا عن الآخر. وطلع جماعة الارمن امامنا وتعلقوا بالمونسنيور يطلبون منه باكين ان ينزل يبارك ضيعتهم وبيوتهم فلم يرد ان ينزل. فالحوا عليه وبدأوا يقبلون يديه ورجليه قائلين: كيف تروح تبارك ضياع اخوتنا الدولتلية[3] ونحن بما اننا فقراء تجوز علينا؟ فنزل المونسنيور وتوجه نحو البيت ولما اقتربنا بقي كل واحد يريد ان ياخذه اليه. واخيرًا واحد منهم كان له اخوان في بلاد الفرنج اخذنا الى بيته. [٩٢] ولما دخلنا الحوش جاءت امه وسقطت على ارجل المونسنيور تبكي وتسأله عن ولديها. فسلّى خاطرها وعزّاها وباركها. فادخلته الى بيتها وجاء كل اهل البيت الصغار والكبار وتباركوا منه.

ثم بسطوا مكانًا داخل حوشهم واحضروا مائدة. وكان كل واحد من اهل الضيعة يجيب من المأكول والمشروب ويضعه في الصفرة[4] ليبارك عليه المونسنيور. ثم اجلسوا المونسنيور وجلس كل واحد في مكان وشربوا وتوسلوا الى المونسنيور حتى شرب فنجانًا. وكان هناك كبير القوس الذي يستونه وارتابيد جالسًا [٩٣] عن يمين المونسنيور وانا عن شماله. وفي الوسط غضارة كبيرة تسع عشر بوقالات[5] شراب. فأخذها القسيس بيده ورفعها عن الارض وكان ذا بطن كبيرة وقال للجماعة كل من يحب المونسنيور يشرب من هذه قدر ما يريد. فلما نظر المونسنيور الغضارة في يده سألني قائلًا ماذا يريد ان يعمل هذا؟ فقلت له يريد يشرب في محبتك. فقال ان كان يحبني لا يشرب. وكان المونسنيور يظن انه يشربها كلها. ثم وضعها على فمه وشرب منها مقدار قدح واعطاها الى رفيقه الذي بجانبه فعمل كذلك قائلًا: في محبة المونسنيور. وهكذا عمل جميعهم حتى [٩٤] وصلت اليّ فشربت مثلهم في محبة المونسنيور.

---

١) هي غير جولقة السابقة الذكر ٢) لا اثر لهذه القرية في يومنا
٣) الاغنياء ٤) الطبق ٥) اقداح

ثم طلب مني المونسنيور ان املأ له قليلاً من النبيذ الممزوج بفنجان فاخذه وشرب هو ايضاً في محبتهم فقاموا كلهم على ارجلهم وكشفوا رؤوسهم . وبعد ذلك قمنا من المائدة وقاموا جميعهم . واخذ كل واحد في يده لقمة خبز من تحت البركة حتى يؤدّوها[1] الى بيوتهم . ثم ركبنا وارتحلنا ومعنا اعيان الارمن حتى وصلنا الى الدير المذكور وبتنا هناك .

وثاني يوم قمنا وتودعنا من جماعة الارمن واستكثرنا خيرهم وتباركوا من المونسنيور ورحنا حتى وصلنا الى جولفة . فخرج الكهنة والشعب بالرّياح [٩٥] كباقي القرى . وخرج ايضاً المهمندار مع ناسه . وفي الليلة الماضية كان قد جاء حرامية[2] الى الضيعة ليسرقوا من حوائجنا . فامسك المهمندار ثلاثة منهم وكانوا مسلمين وجعلهم في القيود . ولما نزلنا في الضيعة احضرهم امام المونسنيور فابتدأ يكرز عليهم وينصحهم حتى يتوبوا . ولما سمع حاكم نقشوان[3] بعث اخذهم لانهم أمسكوا في ارضه . وثاني يوم ايضاً بقينا هناك الى ان قضينا اشغالنا . فجاءنا بادري كبوجي من جانب خان تفليس الكرجي ابن الشاه نوازخان يدعو المونسنيور حتى يروح الى تفليس ويسكن هناك . فامتنع عن الرواح ودخلنا احمالنا [٩٦] في البارکات[4] التي كانت على نهر الارز[5] وجزنا الى الجانب الآخر وتودعنا من الجماعة الذين كانوا يرافقنا من ابرانير . ورجع البادري الكبوجي عند الخان .

فجزنا النهر ورحنا الى ضيعة مسلمين فخرجوا لملتقانا وانزلوا المونسنيور واكرموه . وثاني يوم رحنا الى ضيعة اخرى ففعلوا كذلك . وكان المونسنيور يوصي المهمندار ان لا يظلم احداً ولا يأخذ شيئاً زائداً من احد . ورابع يوم وصلنا الى ضيعة مسلمين تُسمّى سرهند ومنها مرحلة الى تجيز . ولما اقتربنا منها خرج اعياتها لملتقانا راكبين والطبول والزمور بين ايديهم واستقبلوا المونسنيور بفرح عظيم [٩٧] وانزلونا في احسن البيوت .

---

١) يأخذوها
٢) قاطع الحرام واللصوص
٣) نخجفان
٤) السفن او القوارب
٥) هو النهر الفاصل ارمينية عن بلاد الترس

اما المونسنيور فكانت عادته اذا وصلنا الى قرية يدخل هو ومسيو كازمو والبادري جاستو البرتغالي الى حجرة ويقدّس المونسنيور . لاننا كنا نحتفل في الليل ونصل الى الضيعة قبل نصف النهار . وانا كنت اروح اقضي كل الاشغال التي نحتاج اليها واحضر الغداء للجماعة لاننا كنا خمسة عشر نفراً سوى المهمندار . واول وصولنا الى هذه الضيعة كتب المونسنيور مكتوباً وبعثه مع الساعي الى البادري الكبوجي في تبريز يعلمه بوصولنا .

١٢ وصول المونسنيور يكيت الى تبريز

[٩٨] وثاني يوم حملنا من بكرة ورحلنا . وفي نصف الدرب لقينا البادري والمطران اسهاك مطران تبريز ومعهما ازيد من عشرين ارمنياً . فنزلوا عن خيلهم وتباركوا من المونسنيور وركبوا ومشينا . ولما قربنا من تبريز لقينا مهمندار البلد مع بعض اعيان المسلمين ومعهم فرس مُسرجة مزيّنة حتى يسجدوها امامه اكراماً له وقد ارسلها اليه حاكم تبريز . فسلّموا على المونسنيور وادخلونا الى تبريز بعز عظيم . وكانوا قد هيّأوا لنا مكاناً وانزلونا في بيت رجل ارمني اسمه قازار . [٩٩] فلما كان الاحد عزمونا الى كنيسة الارمن فركبنا خيولنا واجتزنا الاسواق . وقبل وصولنا الى البيعة خرج المطران والقسوس والشمامسة بالخواتيس[1] حاملين صناجق الصليب والاناجيل والمباخر والصنوج والنواقيس تدق بين ايديهم والشعب يتبعهم والمسلمون واقفين في الازقة يتفرّجون . واول ما اقتربوا الينا نزل المونسنيور عن فرسه ونزلنا جميعاً فجثا على ركبتيه امام الصليب المكرّم ثم البسوه بدلة حمراء ومشينا حتى وصلنا الى الكنيسة والناس تزحمنا حتى يتباركوا من المونسنيور .

[١٠٠] ولما دخل الى الكنيسة أجلسوه على كرسي وجابوا لقن فضة وابريق فضة ملآنا مية ورد . ثم تشتّل[2] المطران اسهاك وجثا على ركبتيه امام

---

١) بالزبر الكهنوتي العتيق .

٢) تشتّل بالشلة تشنّف بها . والشلة كما تراه يُشتّل به .

المونسنيور وغسل رجليه[1] . وتزاحم الناس واخذوا الماء الذي غسل رجليه مثل ماء مبارك وكانوا يمسحونه في وجوههم بايمان عظيم . ثم قدّس المونسنيور قداساً كبيراً وكرز بالايطالياني وكان عازريا يشرح لهم بالارمني فتغدّينا هناك . وكان اكابر الارمن جميعهم حاضرين . وبعد [١٠١] الغدا رجعنا الى بيتنا .

وثاني يوم ركبنا مع المونسنيور ومعنا مهندار البلد امامنا ورحنا حتى نزور حاكم البلد مرزا ابرهيم . وكان قد حضر جماعته في السراي . فلمّا دخل المونسنيور نهض قائماً واستقبله بفرح وأجلسه في المكان الاشرف واجلس جماعتنا كل واحد في مكانه . ثم ابتدأ يحكي مع المونسنيور وانا كنت الترجمان باللسان التركي . ثم احضروا مائدة من جميع الخيرات فتغدينا ورجعنا الى بيتنا .

ويوم الاحد رحنا الى بيعة الكبوجيّين وقدّس المونسنيور . وكان المطران اسهاك حاضراً [١٠٢] واكابر الارمن . وكرز المونسنيور وبعد القداس تغدّى مع المطران اسهاك عند البادرية ورجع الى البيت . وكان كل يوم يقدّس في حجرته ويصلّي في صلاته .

١) هذه عادة قديمة اذ كان الضيف يغسل رجلي ضيفه (تكوين ١٨ : ٤ ، ولوقا ٧ : ٤٤)

(لها صلة)